الترجمة الكاملة



11

مغامرات

شارلوك هولمز

تأليف : آرثر كونان دويل

مغامرة تاج الزمرد

The Adventure of The Beryl Coronet

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند أيار 1892

مغامرات



ترجمة : سليمان حسون

أجيال الغد

لجيل عربي مثقف واع





ذكريات شارلوك هولمز

1- ذو الغرة الفضية
2- لغز الطرد البريدي
3- الوجه الأصفر
4- لغز موظف البورصة
5- لغز سفينة غلوريا سكوت
6- طقس موسغريف
7- لغز بلدة ريغيت
8- لغز الرجل الأحدب
9- المريض المقيم
10- المترجم اليوناني
11- وثائق المعاهدة البحرية
12- المشكلة الأخيرة

مغامرات شارلوك هولمز

1- فضيحة في بوهيميا
2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
3- الهوية الغامضة
4- لغز وادي بوسكومب
5- بذور البرتقال الخمس
6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
7- مغامرة العقيق الأزرق
8- مغامرة الشريط المرقط
9- مغامرة إبهام المهندس
10- مغامرة النبيل الأعزب
11- مغامرة تاج الزمرد
12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية

ISBN 978-9933-14-822-5



أجيـــال الغـــد
سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 00963 11 2262422
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com

الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

مغامرات شارلوك هولمز

The Adventure of the Beryl Coronet

مغامرة تاج الزمرد

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

11

مغامرات شارلوك هولمز

The Adventure of the Beryl Coronet

مغامرة تاج الزمرد

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
أيار 1892

ترجمة: سليمان حسون
مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمةٌ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأنَّها (أي شخصية هولمز) كانت تحث القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللّغز

المطروح بشكلٍ يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكريَّة والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتَّى أن يسبقهما في التَّوصل للحقيقة. الطَّريف في شخصية هولمز أنَّها وعلى الرغم من أنَّها تقدِّم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التَّاسع عشر إلا أنَّها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأنَّ كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسيَّد كل قصص كونان دويل هي شخصيَّة كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربةٍ عظيمةٍ تمكَّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورةٍ أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداع صورة نمطية محدَّدة ومشوِّقة للسيد هولمز في أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وغليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل
مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولـد الطبيـب والروائـي البريطاني السـير آرثر كونـان دويل في أدنـبرة باسـكتلندا سـنة 1859، واشـتهرت الشَّـخصية التي ابتدعهـا «شـارلوك هولمـز» لرجـل التَّحـري الذَّكي القـادر على فـك ألغـاز الجرائـم، معتمـداً عـلى امكاناتـه الذِّهنيـة وقـوة الملاحظـة، واتبـاع طريقـة الملاحظـة والتَّحليـل والاسـتنتاج بالاعتـماد عـلى العلـم والمنطـق، هذه الشَّـخصية التـي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقـد مُثلـت العديـد مـن رواياتـه وقصصـه، وتحوَّلـت إلى أفـلام سـينمائية وأفـلام كارتونية. وقـد هجر السـير آرثـر دويل مهنـة الطّـب بعد أن مارسـها ثـماني سـنوات، واتَّجـه إلى الأدب، واسـتطاع أن يبـدع فيـه. بـدأ حياته الأدبيـة سـنة 1887 بكتابة القصـص القصـيرة للمجلات بهدف زيـادة دخله. يقـول النَّاقد كريسـتوفر مـورلي عن شـارلوك هولمـز: لم يحدث أبـداً أن نالت شـخصيَّة روائيَّـة هـذا الحـظ مـن القـدرة عـلى امتـاع القـرَّاء والالتصـاق بهـم بمثـل مـا نالـت شـخصية شـارلوك هولمـز. فالسـير آرثر دويـل بعد أن مـارس مهنة الطّـب في عيادته التي لم يكـن يزورهـا إلا النُّـزر اليسـير مـن المـرضى، كان يجـد أوقاتـاً

كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 – 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة

قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من هذه القضايا الصَّغيرة، مُركِزَةً على القضايا المشوِّقة التي تتطلَّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصَّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشكلٍ دائم في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسةٍ مكبرة. ويوصف هولمز بأنَّه سيدٌ إنجليزي من الطِّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيقٌ، له عينان حادَّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرُّغم من قامته النَّحيلة فإنَّ قدراته البدنيَّة عالية. هو ملاكمٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلَّب على خصومه في المرات القليلة نسبيَّاً التي اضطر فيها للاشتباك جسديَّاً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنَّه: (يمتلك قوة استثنائية في أصابعه). أمَّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنَّه: (يمتلك

القليل من المعرفة حول المصارعة اليابانية). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قُدِمَت بعض المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكِّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شقيقة الرَّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلت إحدى الشَّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نورورود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة

الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتَّى أنَّ الكثيرين من القرَّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشَّخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذَّاتيَّة، كما أنَّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنَّه يروي القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطَّريقة الموضوعية والمفصَّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشَّيء كرجل يميل إلى النّساء، يتكلَّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في

الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

مغامرة تاج الزمرد

فيما كنت أُطلُّ من نافذة غرفتنا وأنظر إلى الشّارع، قلت: هولمز! هناك شخص مجنون يتجوّلُ وحيداً. يبدو أنّه من المُحزن أنّه يتوجّب على أقاربه السّماح له بأن يخرج لوحده.

نهض صديقي بكسل عن كرسيه ووقف واضعاً يديه في جيوبه ونظر من خلف كتفي. كان صباح يومٍ منعش من أيام شباط، وكانت الثلوج التي تساقطت قبلَ يوم ما زالت متناثرة على الأرض وقد شكلت طبقة عالية، كانت أشعة الشّمس الشتوية تنعكس على الثّلج بشكلٍ جميلٍ. كانت حركة المرور قد شقّت طريقاً وسط الثّلج أصبحَ لونه بنيّاً وسط شارع بيكر، بينما بقي الثّلج أبيض ناصعاً على جانبي الطّريق كما سقط من السّماء، كما بقي الثّلج مكدّساً على جانبي الطّريق. وبالرغم من تنظيف الرّصيف الرّمادي إلا أنّه لا يزال زلقاً بشكلٍ خطيرٍ، لذلك كان عدد المارّة أقل من المعتاد في مثل هذا الوقت، حتّى أنّه لم يكن هناك أي قادم من

جهة محطّة متروبوليتان سوى ذلك الرّجل الذي لفت انتباهي بتصرفاته الغريبة.

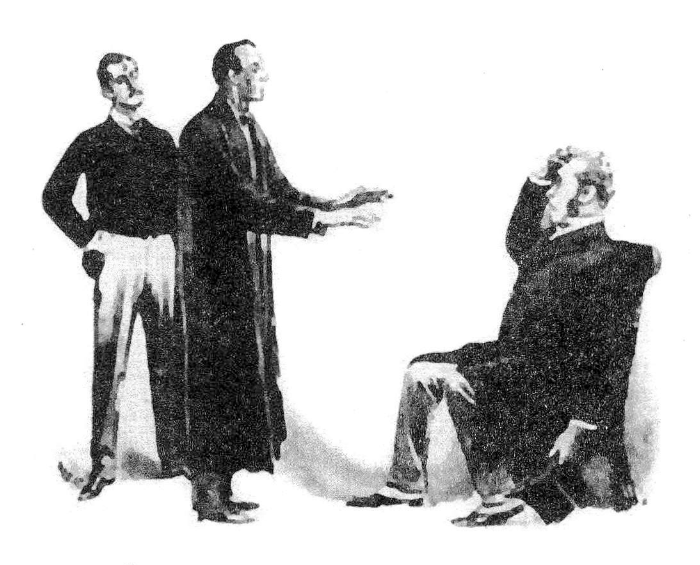
كان في نحو الخمسين من العمر، طويل القامة وجسده ضخمٌ ومميّزٌ كما بدا وكأنّه يتمتّع بشخصيّةٍ قويّةٍ. وبالرّغم من كآبة ملابسه إلا أنّها كانت أنيقة، فقد ارتدى سترةً سوداء طويلة فوق بنطالٍ رمادي مناسب لجسده وانتعل حذاءً بنيّاً أنيقاً، ووضع على رأسه قبّعةً سوداء طويلة ولامعة. لقد لاحظت تناقضاً كبيراً بين تصرفاته الغريبة وأناقة ملابسه ووقاره، فقد كان يجري بسرعةٍ وبشكلٍ مُفاجئ ثمّ يتوقّف عن الحركة بشكلٍ مُفاجئ أيضاً ويحرّك يديه إلى أعلى وأسفل ويهزّ رأسه وهو يجري وقد التوت قَسماتُ وجهه بطريقةٍ غريبةٍ للغاية.

تساءلتُ قائلاً: ما خطب هذا الرّجل؟ إنّه ينظر في أرقام المنازل!

فقال هولمز وهو يفرك يديه: أظن أنّه قادمٌ إلى هذا المنزل الذي نحن فيه.

- إلى هنا؟!

- نعم، أعني أنّه قادِمٌ إلى هنا لاستشارتي في موضوعٍ ما، لقد رأيتُ مثل هذه الأعراض من قبل... ها، ألم أقل لكَ!



وفيما كان هولمز يتابع كلامه اندفع الرَّجل باتّجاه باب منزلنا بالفعل وهو يلهث بشدّة وأخذ يرن الجرس حتّى سمع الجميع صوت رنينه. وبعد دقائق قليلة كان الرّجل في الغرفة وهو لا يزال يلهث ويشير بيديه، وعلى الفور حوَّلت نظراته الحزينة اليائسة فرحنا بهذا الصّباح الشتوي الجميل إلى رعبٍ ممتزجٌ بالشَّفقة.

بقي لبعض الوقت غير قادر على الكلام وأخذ يهزُّ رأسه وجسده ويشد شعره كشخصٍ يكاد يجن، ثمَّ هبَّ واقفاً بشكلٍ مُفاجئ واتّجه نحو الجدار وأخذ يضرب رأسه به

بعنف ما دفعنا لجذبه إلى وسط الغرفة. جعله هولمز يجلس على كرسي مُريح، ثمَّ جلس بجواره وهو يحاول تهدئته بطريقته المُعتادة الفعّالة وقال له: لقد أتيتَ إلينا لتخبرنا ما حدث معك، أليس كذلك؟ ولكنّك الآن في وضعٍ سيء للغاية بسبب توترك، لذلك أرجو أن ترتاح وبعد ذلكً تروي لنا ما حدث وأنا على استعداد لمساعدتك فيما تطلبه.

جلس الرّجل ساكناً لدقيقةٍ أو أكثر وهو يلهث محاولاً مغالبة مشاعره، ثمَّ مسح بمنديله على حاجبيه وزم شفتيه ثمَّ التفت باتجاهنا وقال: لا شك أنّكم تعتقدون أنّي مجنون.

أجابه هولمز محاولاً تهدئته: بل أعتقد أنّك تعاني نتيجة مشكلة رهيبة.

- يعلم الله أنّي في مشكلة تكاد تسبِّب لي الجنون لهولها وفظاعتها. لو أنّ الأمر يقتصر على الفضيحة العلنية لتمكّنتُ من مواجهته، رغم أنّي شخصٌ لم تشب سمعته أي شائبة من قبل. إنّ المآسي الشّخصيّة قدر كل منا، لكن أن تجتمع المأساة مع الفضيحة بهذا الشّكل الرّهيب سوف يزعزع هذا كيان أي شخص. بالإضافة إلى ذلك فإنّ الأمر لا يقتصر عليّ أنا فقط، فقد يعاني نتيجته أنبل شخص على وجه الأرض ما لم نتمكّن من تلمس طريقنا للخروج من هذه المسألة الرهيبة.

قال هولمز: أرجو أن تتمالك أعصابك يا سيّدي، لتتمكّن

من إخباري بوضوح من أنت وماذا حدث معك.

أجاب ضيفنا قائلاً: قد يكون اسمي مألوفاً بالنّسبة لك. أنا أُدعى ألكسندر هولدر من شركة هولدر وستيفينسون للأعمال المصرفيّة.

كان الاسم معروفاً بالنّسبة لنا بالفعل، فهو الشّريك الأكبر في ثاني أضخم مؤسّسة ماليّة ومصرفيّة خاصّة في لندن، فما الذي يمكن أن يكون قد حدث حتّى يصبح شخص يحتل مركزاً مرموقاً في المجتمع بهذه الحالة المثيرة للشفقة؟

انتظرنا بفضول حتّى استطاع بعد أن بذل ما بوسعه ليتمالك نفسه ويقول لنا قصّته. أخيراً تكلّم فقال: لقد قدّرتُ أنّ عامل الوقت مُهمٌ للغاية، لذلك أسرعت بالقدوم إليك عندما نصحني ضابط الشرطة بذلك. لقد جئت إلى شارع بيكر بمترو الأنفاق، ثمّ هُرعتُ جرياً إلى هنا لأنّ عربات الأجرة تسير ببطءٍ على الثّلج ولذلك لم أكن قادراً على التقاط أنفاسي لأنّي لا أتمتع بلياقةٍ بدنيّةٍ عالية. على كل حال أشعر الآن بتحسن وسأحاول أن أخبرك بالوقائع بشكلٍ مُختصر لكن بوضوح.

أنتما تعرفان بالطّبع أنّ العمل المصرفي النّاجح يعتمد على قدرتنا على توظيف مواردنا المالية في استثمارات مربحة، كما يعتمد على توسيع دائرة معارفنا بهدف زيادة عدد المودعين. وتعتبر القروض أحد أكثر الطّرق ربحاً حين تكون هناك

ضمانات يعتمد عليها وموثوقة. لقد قدّمنا الكثير من القروض في السّنوات القليلة الماضية واستهلكت هذه القروض مبالغ ضخمة قدّمناها كقروض للعديد من العائلات النّبيلة بكفالة ما تملكه من لوحاتٍ فنيّة قيِّمة أو مقتنياتٍ ثمينةٍ أخرى.

كنت بالأمس جالساً في مكتبي في المصرف عندما أحضر لي أحد الموظفين بطاقة تعريف، لأجفل عند رؤية الاسم المطبوع عليها، فهو لم يكن سوى... حسناً، ربما من الأفضل أن أقول لك أنّه اسمٌ معروفٌ في العالم كلّه، وهو أحد أرفع الشّخصيات وأنبلها في بريطانيا. لقد كنتُ فخوراً أن أخبره عندما دخل مكتبي كم تشرّفتُ بلقائه واختياره لي ليعمل معي، لكنّه دخل بصلب الموضوع على الفور وبدا كمن يرغب بالانتهاء من مهمةٍ كريهةٍ بسرعةٍ، فقال: لقد أخبروني أنّك تُقرِض المال يا سيد هولدر.

أجبته بالقول: تقوم الشّركة بذلك حين تكون الضّمانات جيّدة.

- أنا بحاجة إلى خمسين ألف جنيه في الحال،

أستطيع بالطّبع أن أقترض عشرة أمثال هذا المبلغ التّافه من أصدقائي، لكنّي أُفضِّل أن يكون الأمر عملٌ بحت وأن أقوم به بنفسي. يمكنك أن تفهم أنّه ليس من الحكمة بشيء أن يقوم شخص بمركزي بالاستدانة من أي شخصٍ آخر.

فسألته قائلاً: هل يمكنني أن أعرف إلى متى ستكون بحاجة إلى هذا المبلغ؟

أجاب: سأحصل على مبلغ كبير يوم الاثنين القادم، وعندها سأُعيدُ لك قيمة القرض إضافةً إلى الفائدة التي ستحدِّدها، لكن من الضّروري جدّاً أن أحصل على المال في الحال.

فقلت له: سيكون من دواعي سروري وشرف لي أن أقرضك المبلغ من مالي الخاص وبدون أي مفاوضات إلا أنّ إمكاناتي لا تسمح، وحين سأقوم بإقراضك من حساب الشركة فمن باب الإنصاف تجاه شريكي أن أحصل على كل الضّمانات المُمكِنة.

فقال وهو يرفع حقيبة سوداء مربّعة الشّكل كان قد وضعها بجانب كرسيه: وأنا أفضِّل أن يتم الأمر على هذا النّحو. لقد سمعت عن تاج الزّمرُّد بالطّبع، أليس كذلك؟

أجبت: إنّه أحد أثمن ممتلكات إمبراطورتينا.

- بالضّبط.

ثمّ فتح الحقيبة التي كانت تحوي مجموعة الجواهر الثّمينة ضمن قطعة قماش أحمر ناعم وقال: يوجد في التّاج تسع وثلاثون زمرّدة، وهو يكاد لا يُقدّر بثمن. إنّ أقل تقدير لثمنه يبلغ ضعف المبلغ الذي أطلبه، وأنا على استعداد لأن يكون هو ضماناً عندك مقابل إعادة المبلغ.



أمسكت الحقيبة الثّمينة ونظرتُ فيها من الدّاخل ثمّ التفتُ إلى عميلي الكبير بشيءٍ من الحِيرة، فسألني قائلاً: هل تشك في قيمتها؟

- أبداً، لكنّي فقط أتساءل عن...

– عن مدى سلامة قراري بتركها بين يديك؟ يُمكنكَ أن تطمئن فلو لم أكن واثقاً من استرجاعها مائة بالمائة خلال أربعة أيام لما تركتها أبداً، لكنّه إجراءٌ شكلي فقط. والآن هل هذا الضمان كافٍ؟

– إنّه أكثر من كافٍ.

– لعلّك تُدرك يا سيّد هولدر أنّي أُقدِّم دليلاً قويّاً على ثقتي بك، وهي ثقة بُنيت على ما سمعته عنك، لذلك سأعتمد على كتمانك للأمر وألا تناقشه مع أحد، وأن تتَّخذ كافة الاحتياطات المُمكنة للحفاظ على التّاج، فلستُ بحاجةٍ أن أخبرك عن مدى الفضيحة التي قد تحدث إن مسه سوء. إنّ أي ضرر قد يُصيبه سيكون بخطورة فقدانه تماماً، فليس هناك أي حجر زمرُّد في العالم يضاهي أحجار هذا التّاج. على كل حال سأتركه بعهدتك وأنا مُطمئن، وسوف أحضر بنفسي لاستلامه الاثنين القادم.

وعندما لاحظتُ كم كان عميلي مستعجلاً، طلبت الصرّاف وأمرته بإحضار المبلغ. وما أن أصبحتُ وحدي مع الحقيبة التي تحوي التّاج تملّكني بعض الخوف وأنا أُدركُ كم هي كبيرةٌ المسؤولية الملقاة على كتفي، وشعرتُ بالنّدم لأنّي وافقت على تحمّل هذه المسؤولية، لأنّ الفضيحة لا يمكن تخيلها إذا أصاب هذا التّاج أي مكروه، لكن الأوان قد فات على هذا الآن وهكذا وضعت التّاج في خزنتي الخاصّة وتابعتُ عملي كالمعتاد.

عندما حلَّ المساء اعتبرت أنّه من الحماقة أن أترك كنزاً ثميناً كهذا في المكتب وأنصرف، فقد سبق أن تم سرقة كثير من خزائن المصرفيين ولا يوجد ما يضمن عدم تكرار ذلك معي، لذلك قرّرتُ إبقاء الحقيبة التي تحوي التّاج معي طوال الأيام الثّلاثة التالية في كل تحركاتي، وبذلك أضمن أن يكون تحت ناظري طوال الوقت. وهكذا طلبت عربة أجرة واتّجهت إلى منزلي في ستريتهام حاملاً معي التّاج الثّمين، لكنّي لم أتنفّس الصعداء إلا بعد أن أخذتها إلى الطّابق العلوي وأغلقتُ عليها درج مكتبي في غرفة ملابسي.

سأخبرك الآن يا سيد هولمز عن كل الأشخاص الموجودين في منزلي لأنّي أود أن تكون لديك فكرة واضحة تماماً عن الموضوع. بالنّسبة للسّائس وخادمي الخاص فهما يُقيمان خارج المنزل لذلك يمكنك استبعادهما، أمّا من بقي فهنّ ثلاث خادمات يعملن لدينا منذ سنوات وليس لدي أدنى شك بإخلاصهنّ، وهناك خادمةٌ أخرى اسمها لوسي بار لم تمضِ معنا سوى بضعة شهور، وقد جاءت بتوصية ممتازة وأنا راضٍ جداً عن عملها، لكنّها فتاةٌ جميلةٌ جدّاً وتجذب المتطفلين من المعجبين الذين يتسكّعون في المكان من حينٍ إلى آخر، هذا هو مأخذنا الوحيد عليها لكنّنا نعتقد أنّها فتاةٌ جيّدةٌ جدّاً من كافة الجوانب.

أمّا بالنّسبة لعائلتي، فهي عائلةٌ صغيرةٌ جدّاً فأنا أرمل

وليس لدي سوى ولدٌ وحيدٌ اسمه آرثر، وهو يشكّل خيبة أمل عميقة بالنّسبة لي يا سيدي، وإن كان يجب أن ألوم نفسي على ذلك لا هو. فالنّاس يقولون أنّي دلّلته كثيراً ولعلي فعلاً دلّلته كثيراً، فعندما توفيت زوجتي شعرتُ أنَّه لم يعد له أحد سواي، لذلك لم أبخل عليه بأي شيء من حبي، وكنتُ أشتري البسمة على وجهه بأي ثمنٍ ولم أرفض له أمنيةً قط. ربما كان من الأفضل لو كنتُ أكثر صرامةً في التّعامل معه، لكنّي لم أقصد إلا الخير بدلالي له.

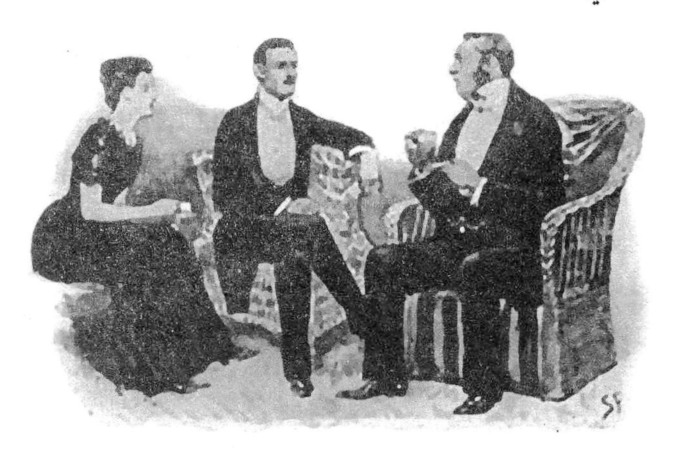
كنت أحلم أن يتولّى عملي من بعدي، لكنّي لم أجد لديه ميلٌ لهذا النّوع من الأعمال، بل كان يتصرّف بشكلٍ أهوج وهو صعب المراس. وفي الحقيقة لم أتمكّن من أن أئتمنه على مبالغ كبيرةٍ من المال، فقد التحق بأحد النّوادي المخصّصة لأبناء الأغنياء عندما كان صغيراً في السِّن وتمكّن هناك وبسرعةٍ بفضل شخصيّته الجذّابة من إقامة صداقات مع عدد من الأثرياء أصحاب العادات التي تتسبّب في ضياع المال فتعلّم لعب ورق الشدّة وأخذ يُنفق المال بلا حساب في رهانات حلبة سباق الخيل، حتّى أنّه قصدني أكثر من مرةً لأعطيه سلفة على مخصّصاته الماليّة ليتمكَّن من تسديد ديون الشّرف! وقد حاول أكثر من مرّةً أن يبتعد عن تلك المجموعة لكنَّ تأثير صديقه السير جورج بيرنويل كان يعيده إليها مرةً بعد الأخرى.

في الحقيقة لم تُدهشني قدرة السير جورج بيرنويل بالتّأثير على ابني حيث أنّه أوصله أكثر من مرّةٍ إلى المنزل، وأنا نفسي كنت على وشك الانجذاب إلى شخصيّته القويّة، فهو أكبر سناً من آرثر، وهو ذكي ويملك خبرةً كبيرةً تجعلك تعتقد أنّه يعرف كل شيء، وأنّه رأى كل شيء في العالم. إنّه متحدِّثٌ بارع، وهو وسيم، وبالرغم من حضوره السَّاحر فإنّي عندما أفكِّر فيه عندما لا يكون موجوداً بأنّه شخصٌ لا يستحق الثِّقة بسبب لهجته السّاخرة دوماً ونظرة عيونه غير المطمئنة. هذا هو رأيي، كما أنّه رأي صغيرتي ماري التي تتمتّع بفراسة امرأةٍ بارعةٍ في التّحليل السّريع للشّخصيّة.

ولم يبقَ أن أخبركما سوى عن ماري، وهي ابنة شقيقي التي كفلتها واعتبرتها ابنتي منذ وفاة أبيها قبل خمس سنوات وتركها وحيدةً في هذا العالم. إنّها ملاكٌ ينشر النُّور والدّفء في منزلي. إنَّها رقيقةٌ ومحبة وعطوفة وجميلةٌ، إضافةً لبراعتها المتناهية في إدارة شؤون المنزل كما تتمتّع بكل صفات المرأة الإيجابية من حنان ووداعة ورقة. إنّها فعلياً ساعدي الأيمن، ولا أعرف ماذا يمكن أن أفعل دونها، والأمر الوحيد الذي خالفتني به هو رفضها الزّواج بابني رغم أنّه طلبها مرَّتين ورغم حبِّه وتعلّقه الشّديد بها. أعتقد أنَّها الوحيدة التي يمكن أن تعيده إلى جادّة الصَّواب، وزواجها به قد يُغيِّر كل

نمط حياته السّيء. لكن الآن فات الأوان للأسف الشّديد.. فات الأوان.

هؤلاء، يا سيّد هولمز، كل أفراد منزلي وسأخبرك الآن ببقيَّة مُصيبتي. في تلك اللَّيلة وعندما كنا نتناول القهوة في غرفة المرسم بعد العشاء، أخبرت آرثر وماري بما حدث معي خلال النّهار، وبأمر الكنز الثّمين الموجود في منزلنا، لكنّي لم أخبرهم باسم عميلي. وبالرُّغم من أنّي متأكِّدٌ أنَّ الخادمة لوسي بار غادرت الغرفة بعد أن أحضرت القهوة، إلا أنَّني لا أجزم بأنَّ الباب كان مغلقاً، وقد أبدى كل من آرثر وماري اهتمامها بالتّاج الشَّهير ورغبتهما في رؤيته، ولكنّي فضَّلتُ أن أتركه حيث وضعته. وسألني حينها آرثر قائلاً: أين وضعته؟



قلت: في درج مكتبي الخاص.

فقال: فلنبتهل إلى الله ألا يسطو أحد على منزلنا في اللّيل.

أجبته: لقد أحكمت الإغلاق عليه.

– آه، إنّ أي مفتاح قديم قد يفتح درج المكتب ذاك، فعندما كنتُ صغيراً فتحته بمفتاح خزانة الغرفة الصّغيرة.

لم أُبال بكلامه لأنّه غالباً ما يتحدّث بطريقةٍ غير مُنظمة، لكنّه تبعني إلى غرفتي في تلك اللّيلة وعلامات التّجهم الشّديد واضحة على محيّاه، وقال وهو مطرقٌ رأسه في الأرض: هل يمكنك أن تعطيني مائتي جنيه يا أبي؟

أجبته فوراً وبحدّة: لا، لا أستطيع. لقد كنتُ كريماً معك بما يكفي خصوصاً عندما يتعلّق الأمر بالمال.

فقال: لقد كنتَ كريماً جدّاً معي بالفعل، لكن يجب أن أحصل على هذا المبلغ وإلا فلن أتمكّن من الذّهاب إلى النّادي ثانيةً.

صحتُ بغضبٍ قائلاً: هذا سيكون أمراً جيّداً جدّاً.

– نعم، لكنّك لن تجبرني على تركه وأنا مكلّلٌ بعار قلّة النّزاهة. لن أتحمّل ذلك العار، لذلك عليّ تدبير المال بأي طريقة، وإذا لم تعطني إياه سأكون مضطّراً للحصول عليه بأي طريقةٍ أخرى.

فشعرتُ بغضبٍ شديد لأنّها المرة الثّالثة التي طلب فيها

المال هذا الشّهر، فصرختُ به قائلاً: لن تنال مني أي نقود.

عندها انحنى احتراماً وغادر الغرفة دون أن ينبس ببنت شفة. بعد مغادرته فتحتُ درج مكتبي لأتأكّد أنّ التّاج بأمان ثمّ أغلقته ثانيةً.



وبعد ذلك انطلقت في جولةٍ لأتفقّد المنزل والتّأكد من تأمينه، وهي مهمة كنت عادة أدع ماري تتولاها لكني فضّلتُ أن أقوم بها بنفسي تلك الليلة. وعندما نزلت الدّرج رأيت ماري تقف عند النّافذة الجانبية للقاعة وقد قامت بإحكام إغلاقها عندما اقتربت، وقالت وقد ظهر الانزعاج على وجهها: أخبرني يا أبي، هل منحت الخادمة لوسي إذناً للخروج الليلة؟

- بالطبع لا.

- لقد دخلت لتوها من الباب الخلفي عائدةً من الخارج، وأنا متأكدة أنّها كانت عند البوابة الجانبية تقابل أحدهم. هذا تصرف أخرق ويجب أن تتوقّف عن القيام به.

- يجب أن تتحدّثي إليها في الصّباح، أو سأتحدّث معها بنفسي إذا كنتِ تفضلين ذلك. هل أنتِ متأكدة أنّ كل شيء مغلقٌ بإحكام.

- متأكدةٌ تماماً يا أبي.

- تصبحين على خير، إذن.

ثمّ قبّلتها وصعدت إلى غرفتي ثانيةً حيث غفوت سريعاً.

إني أحاول إخبارك بكل شيء متعلق بالموضوع يا سيد هولمز، وأرجو أن تسألني عن أي نقطة تجدها غامضة كي أوضحها بشكلٍ جيد.

أجاب هولمز: بل إنّ روايتك واضحةٌ تماماً.

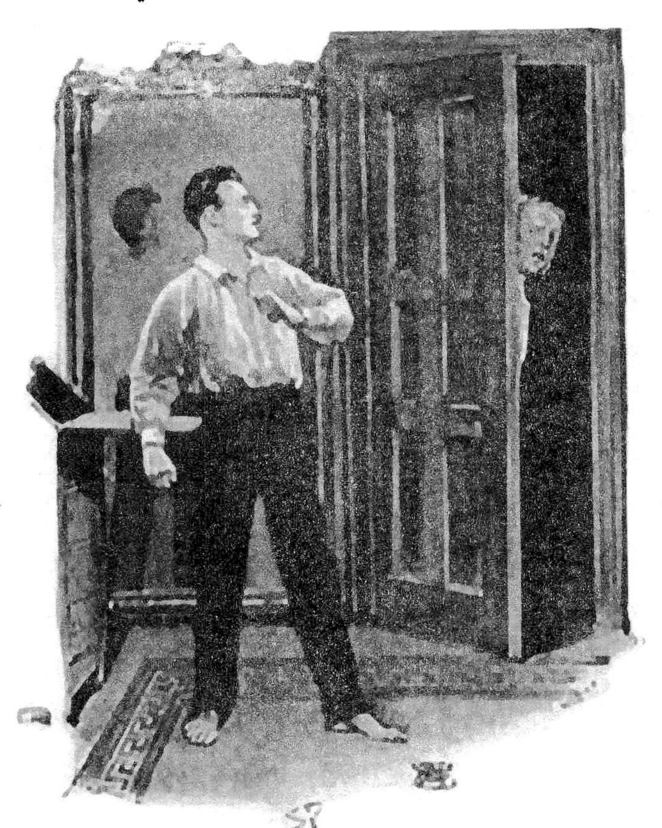
- لقد وصلت إلى الجزء الذي أتمنّى أن يكون في غاية الوضوح. في العادة لا يكون نومي ثقيلاً، وفي تلك الليلة وبسبب القلق من موضوع التّاج كان نومي أبعد ما يكون عن النّوم. عند حوالي الثانية فجراً استيقظتُ على صوتٍ ما، ورغم أنّ الصّوت اختفى قبل أن استيقظ تماماً، إلا أني شعرتُ وكأنّه صوت نافذةٍ يُغلق بهدوء في مكانٍ ما من المنزل.

نهضت لكنّي بقيتُ في السّرير وأصغيتُ بتركيزٍ شديد، وفجأة سمعت أصواتاً واضحةً لأقدام تتحرّك بخفةٍ في الغرفة المجاورة، فنزلت عن سريري وأنا أرتجف من الخوف، ثمّ نظرتُ بحذرٍ باتجاه باب غرفة ملابسي، ثمّ صرختُ قائلاً: آرثر! أيها اللّص الحقير! كيف تجرّأت على لمس التّاج؟!

كان الضوء خافتاً كما تركته ورأيت ولدي التعس يقف بجوار المصباح ممسكاً التّاج بيده، وقد بدا وكأنّه يحاول أن يلويه أو يثنيه بكل قوّته. عندما سمع صرختي، أسقطه على الأرض واستدار نحوي بوجهه الشّاحب وكأنّه قد خرج للتو من قبر.

التقطتُ التّاج رفعته إلى الأعلى حتّى أتفحّصه، وعندها اكتشفتُ اختفاء قسم من إطاره الذّهبي وهو كان يحوي

ثلاثـة مـن أحجـار الزّمـرد، فصرخـتُ بـه وقـد خرجـتُ عـن طـوري بسـبب الغضـب الشّـديد: أيهـا النّـذل، لقـد دمّرتـه وجلبت العار لي، العار إلى الأبد! أين الجواهر التي سرقتها؟



صاح قائلاً: سرقتها؟! ماذا؟!

فأخذتُ أرغي وأزبد وأنا ممسك به من كتفيه وهززته قائلاً: أجل أيها اللّص!

فقال: لا شيء مفقود، لا يمكن أن يكون أي شيء مفقوداً

بل فُقدت ثلاث زمردات وأنت تعرف أين هي. هل يجب عليّ أن أصفك بالكاذب إضافةً إلى وصفك بالسّارق؟ ألم أشاهدك بأم عيني وأنت تحاول انتزاع جوهرة أخرى من التّاج؟

أجاب: لقد أهنتني بما يكفي ولن أحتمل أكثر من ذلك، كما أنّي لن أنطق بكلمةٍ حول هذا الموضوع، بما أنّك قرّرت أني سارق وكاذب. سأغادر منزلك في الصّباح وأشق طريقي في الحياة وحدي.

أفقدني الغضب والحزن صوابي، فصرخت به قائلاً: ستغادر المنزل برفقة الشرطة لأنّي سأطلب التّحقيق في هذا الأمر لأتمكّن من التّوصل إلى الحقيقة.

فقال بانفعالٍ فاجأني بشدّة لأنّي أول مرةً أراه هكذا: حسناً إذن، لن تعرف شيئاً مني، وإذا قررت الاتصال بالشرطة لنرى ماذا ستستطيع الشرطة أن تكتشف.

في تلك الأثناء كان كل من في المنزل قد استيقظ بسبب صياحي نتيجة غضبي الشّديد، وكانت ماري هي أول من

وصـل إلى غرفتـي، وقـد أدركـت عـلى الفـور ما حـدث عندما رأت التّـاج ووجـه آرثـر، فصرخـت ووقعـت عـلى الأرض مغشـياً عليهـا. أرسـلت بعـد ذلـك الخادمـة في طلـب الشرطـة وسـلّمت الأمـر لهم فـوراً. وعندما دخـل مفتش الشرطـة برفقة شرطـي آخـر إلى المنزل سـألني آرثـر، الـذي كان يقـف متجهماً وقـد عقـد ذراعيـه عـلى صـدره بشـكلٍ عنيـد، إذا كنـتُ أنوي اتّهامـه بالسرقـة، فأجبتـه أنّ الأمـر تجاوز العلاقـة الشّـخصية كـون التّاج الـذي تعـرّض للتّخريب يعتـبر كنزاً وطنيـاً، لذلك كنتُ مُصرّاً على أن تأخذ العدالة مجراها في الأمر.

فقـال حينهـا: على الأقل أرجـو أن لا تدعهـم يلقون القبض عـليّ في الحـال، فـإنّ مـن مصلحتـك ومصلحتـي أن تتركنـي أغادر المنزل لخمس دقائق فقط.

فقلـت له: هـل تريدني أن أفعـل ذلك لتتمكّن مـن الهرب أم من أجل إخفاء ما سرقته؟

بعد ذلك توسّـلتُ له أن يتذكّر أنّ سُـمعتي ليسـت الوحيدة المعرّضـة للخطـر نتيجـة الأمـر، بل سـمعة شـخص نبيـل جداً وأنّـه بذلـك قـد يتسـبّب في فضيحـة سـتهز كيـان الأمّـة كلها. وأخبرتـه أنّـه بإمكانه إخباري بمـكان الأحجـار المفقودة وقلت لـه: يجـب أن تواجـه الموقـف بشـجاعة، فقـد أمسـكتُ بـكَ متلبسـاً، ولا يمكـن لأي اعـتراف أن يضيـف شـيئاً إلى فظاعـة

عملك، لكن إن صحّحت الأمور وهو أمرٌ باستطاعتك القيام به، فسوف أنسى كل ما حدث وأسامحك.

أجابني قائلاً: احتفظ بمسامحتك لنفسك أو لمن يطلبها منك. ثم استدار مبتعداً عني وهو ينظر لي بازدراء. وحين رأيت أنّ كلامي لم يؤثّر به بل زاده عناداً لم يعد أمامي سوى نقل الأمر ليد الشرطة، فقاموا بتفتيشه شخصياً وتفتيش غرفته وكل مكان كان من الممكن أن يكون قد أخفى الزمردات فيه داخل المنزل. لكنّهم لم يجدوا شيئاً ولم يفلحوا بحمله على الكلام بالرغم من التّهديد والوعيد الذي كالوه ضده. وقد تمّ نقله هذا الصّباح إلى السجن، فيما أنهيتُ أنا المعاملات الرّسمية وأسرعتُ إليك عملاً بنصيحة المفتّش لاعترافه أنّه غير قادر على القيام بشيءٍ في هذه القضيّة المعقدة. سيدي، يمكنك أن تفعل ما تراه ضرورياً وتنفق ما تشاء وقد قمت برصد مكافأة مقدارها ألف جنيه للوصول إلى الزمردات. يا إلهي ماذا يجب أن أفعل؟ لقد فقدتُ في ليلةٍ واحدةٍ سمعتي وابني والجواهر التي تم ائتماني عليها.

وضع يديه على صدغيه وأخذ يهز إلى الأمام والخلف كمن أصابته لوثة، وأخذ يهمهم كطفل أفقده الخوف القدرة على الكلام. أمّا شارلوك هولمز فقد جلس صامتاً لبضع دقائق وقد عقد حاجبيه وركّز عينيه على نار المدفأة ثمّ سأله قائلاً: هل تستقبلون زواراً كثر؟

- نكاد لا نستقبل أحداً سوى شريكي وعائلته، إضافةً إلى بعض أصدقاء آرثر الذين يزورونا بين الفينة والأخرى، كما زارنا السير جورج بيرنويل عدّة مرات مؤخراً، ولا يوجد أحد آخر على ما أعتقد.

- هل تشاركون في مناسبات اجتماعيّة بشكلٍ كبير؟

- آرثر يفعل، أمّا بالنّسبة لي ولماري فعادةً ما نبقى في المنزل لأنّ كلانا غير مهتم بمثل هذه الأمور.

- هذا أمر غير اعتيادي بالنّسبة لفتاة.

- إنّ طبيعتها هادئة، كما أنّها ليست صغيرة جداً، فهي في الرابعة والعشرين.

- بدا مما قلته أنّ ما حدث صدمها هي أيضاً.

- لقد تأثّرت بالأمر بشكلٍ مرعب، بل فاق تأثرها تأثري بالأمر.

- ألم يعتقد أي منكما أنّ ابنك قد يكون بريئاً من السرقة؟

- كيف ذلك وقد رأيته بأم عيني والتّاج بين يديه؟!

- شخصياً، لا أعتبر ذلك دليلاً قاطعاً. هل لحق ضرر بالجزء المتبقي من التّاج؟

- نعم، لقد حدث فيه التواء.

- ألا تظن أنّ ابنك كان يحاول تقويم اعوجاج التّاج؟

- بالله عليك، شكراً لك على كل حال، لكن هل تحاول التّخفيف عني وعنه بإبعاد التّهمة عنه؟ لكنّه أمرٌ صعب، فما الذي كان يفعله في الغرفة على أي حال؟ وإذا كان غرضه شريفاً فلماذا لم يفصح عنه؟

- بالضّبط، فلو كان مذنباً لماذا لم يخترع كذبة لينجو بها من المأزق. يبدو لي أنّ صمته يوحي بأحد الأمرين. أشعر بوجود العديد من النقاط الغريبة في القضية على كل حال ما رأي الشرطة في الصوت الذي أيقظك من نومك؟

- لقد فسروه على أنّه الصّوت النّاتج عن إغلاق آرثر لباب غرفة نومه.

- هذا تفسيرٌ غير محتمل. فمن ينوي ارتكاب عمل شائن لا يغلق باب غرفته بعنف لينبه الجميع إليه! وماذا قالوا بشأن اختفاء تلك الزُّمردات؟

- ما زالوا يطرقون على الألواح الخشبية ويفحصون أثاث المنزل علهم يعثرون عليها.

- هل فكَّروا بالبحث خارج المنزل أو في محيطه بالتّحديد؟

- نعم إنّهم يعملون على الأمر بنشاطٍ كبيرٍ، فقد قاموا بتفتيش الحديقة كلّها بشكلٍ دقيقٍ للغاية.

قال هولمز: والآن يا سيدي العزيز، أليس من الواضح

لك أنّ هذه القضية تحمل في طياتها أكثر مما بدا لك وللشرطة؟ فما بدا لك وكأنّه قضية بسيطة تبدو لي قضية غاية في التّعقيد. فإذا دقّقتَ جيداً في تصورك لما حدث، ستجد أنّك تفترض أنّ ابنك نهض من فراشه ودخل ،رغم المخاطرة الكبيرة في ذلك، إلى غرفة تبديل ملابسك ليفتح درج مكتبك ويقوم بإخراج التّاج، ثمّ يقوم باستعمال كل ما يملكه من قوّةٍ لاقتطاع جزء من التّاج، ثمّ يذهب بعد ذلك إلى مكانٍ آخر يخفي فيه الزمردات بخفّةٍ بحيث لا ينتبه له أحد من الموجودين في المنزل وبعدها يعود ومعه الزمردات الست والثلاثين الباقية من أصل 39 زمرة موجودة في التّاج ويعرّض نفسه إلى خطر اكتشافه. هل هذا معقول برأيك ياسيدي؟

صاح المصرفي بيأس قائلاً: لكن من فعل ذلك إذن وما البديل لأقتنع به؟ ولماذا لم يبرِّر لي تصرفاته لو كان بريئاً؟

أجاب هولمز بالقول: إنّ مهمتنا هي اكتشاف السر خلف ذلك الصّمت، لذلك سوف نذهب معاً إلى ستريتهام وندرس الموضوع عن كثب.

أصرّ صديقي على وجوب مرافقتي لهما في تلك الرحلة الاستكشافية، كما أنّي كنت شخصيّاً متشوِّقاً لذلك لأنّ ما سمعته من المصرفي أثار فضولي وتعاطفي بنفس الوقت.

وأعترف أنّ تورط الابن كان واضحاً بالنّسبة لي مثل وضوحه بالنّسبة لأبيه، لكنّني بالرغم من ذلك كنت أثق برأي هولمز ما جعلني أشعر بأنّ هناك أملاً ما لم يكن هولمز راضياً عن التّفسير الذي ذهب إليه المصرفي.

لزم هولمز الصّمت طوال رحلة الطّريق إلى الضّاحية الجنوبية للمدينة، وجلس في العربة مطرقاً رأسه وقد أنزل قبعته لتغطي عينيه وغرق بتفكير عميق، فيما كان الأمل يدور في نفس عميلنا نتيجة ثقته بقدرة هولمز على تفسير ما حدث، وخرج من حالته الغريبة وأخذ يتحدّث معي في حوار متقطّع عن عمله.

وصلنا بعد رحلةٍ قصيرةٍ بالقطار وأخرى على الأقدام إلى فيربانك وهو المنزل المتواضع لهذا المصرفي الكبير. كان فيربانك منزلاً مبنياً من الحجارة البيضاء، مربع الشّكل ويبعد عن الطّريق مسافة قصيرة جداً. كان أمامه طريق مزدوج للعربات يخترق مرجاً، كان الثّلج يغطيه ويمتد المرج حتّى يصل إلى بوابتين حديديتين تغلقان المدخل. على الجانب الأيمن كان هناك ممر ضيق يمتد من الشّارع بين سياجين أنيقين لباب المطبخ ليكون بذلك باب مخصّص للبائعين والخدم، أمّا الجانب الأيسر فكان ممراً ضيقاً يؤدي إلى الإسطبلات، ولو أنّه ليس ضمن حدود الحديقة حيث أنّه

طريقٌ عام رغم أنّه لا يُستخدم إلا نادراً.

كنّا نقف عند الباب عندما تركنا هولمز فجأةً ودار ببطء حول المنزل بأكمله، حيث سار عبر المدخل حتى الممر المؤدِّي إلى باب الباعة والخدم، ثمّ تابع دورانه حول المنزل عبر الحديقة الخلفية حتّى بلغ الطّريق الضّيق المؤدِّي إلى الإسطبلات. استغرق وقتاً لا بأس به في هذه العملية، لذلك سبقته مع السيد هولدر إلى داخل المنزل وانتظرناه في قاعة الطّعام قرب المدفأة حتّى يعود. جلسنا بانتظاره بصمت وفتح الباب لتدخل منه سيِّدةٌ شابة. كانت متوسطة الطّول أو أطول من ذلك بقليل، نحيلة وقد منح شحوبها الشّديد مزيداً من السّواد إلى عينيها وشعرها. لم أرَ من قبل امرأةً بهذا الشّحوب قط. حتّى شفتاها كانتا شاحبتين أيضاً، أمّا عيناها فكانتا محتقنتين من البكاء. لقد خلّفت لديَّ انطباعاً أقوى من ذلك الذي خلّفه المصرفي صباحاً.

سارت عبر الغرفة بصمت وبدا واضحاً من مشيتها وحركتها أنّ لها شخصيّة قويّة وتتمتّع بمقدارٍ كبيرٍ من السيطرة على نفسها. اتّجهت مباشرةً إلى عمِّها، دون أن تعير وجودي أي اهتمام ومرّت بيدها على رأسه بطريقةٍ أنثوية حنونة، ثمّ تساءلت قائلةً: لقد أمرتهم بإطلاق سراح آرثر، أليس كذلك يا عمي؟



- لا، لم أفعل يا ابنتي. يجب التَّحقيق في الأمر حتَّى نتوصّل إلى نتيجة.

- لكنّي متأكدة تماماً أنّه بريء، وأنت تعرف كيف هي غريزة المرأة، فأنا مقتنعةٌ أنّه لم يفعل ما هو خطأ وأنّك ستندم على ما فعلته معه لمعاملتك إياه بهذه القسوة.

- لماذا لا يتكلّم إذا كان بريئاً إذن؟

- من يدري؟ ربما لم يتكلّم لأنّه كان غاضباً جدّاً من شكِّكَ فيه.

- وكيف لا أشك فيه وقد رأيته بأم عيني وهو يحمل التّاج بين يديه؟

- هذا صحيح، لكنّه كان يحمله فقط لينظر إليه. أرجوك، أرجوك ثق بحدسي وصدِّق كلامي حين أقول لك أنّه بريء. يجب أن تتنازل عن اتّهامك له، فمن المريع تصوُّر وجود العزيز آرثر في السّجن.

- لن أفعل أو أتراجع حتّى نعثر على الزُّمردات، لن أفعل يا ماري! إنّ مشاعرك تجاه آرثر تمنعك من رؤية التّبعات السَّيئة التي ستحل بي. لقد أحضرت معي من لندن شخصاً سيتولّى التّحقيق في القضية بدقة أكبر بدل التّستر على الموضوع.

فاستدارت نحوي وسألت: هذا السّيد؟

- لا، بل صديقه. لكنّه طلب منّا أن نتركه وحده وهو الآن يتجوّل في الطّريق المؤدِّي إلى الإسطبلات.

أبدت استغرابها وقالت: طريق الإسطبلات، لكن ما الذي يمكن أن يجده هناك؟ آه، ها هو قد جاء على ما أعتقد.

عندما اقترب هولمز قالت له: إنّني أعتمد عليك يا

سيدي لإثبات براءة ابن عمي آرثر من هذه الجريمة، وهو الأمر الذي أنا متأكِّدة منه.

أجابها هولمز: أوافق الرّأي تماماً وأنا على ثقة من أنّي سأتمكّن من إثبات ذلك بمساعدتك.

ثمّ عاد إلى الممسحة قرب الباب لينفض الثّلج عن حذائه وتابع قائلاً: أظن أنّي أتشرّف بمخاطبة الآنسة ماري هولدر، فهل لي أن أسألك سؤال أو اثنين؟

- أرجوك افعل يا سيِّدي إذا كان في ذلك ما يُساعد في حل هذه المسألة المُريعة.

- ألم تسمعي شيئاً ليلة أمس؟

- لم أسمع شيئاً حتّى بدأ عمي يصيح ويتحدّث بصوتٍ مرتفعٍ ونبرةٍ حادَّةٍ غاضبةٍ وقد أسرعت إليه عند سماعي ذلك.

- هل أغلقتِ النَّوافذ والأبواب اللّيلة الماضية؟

- نعم.

- وهل وجدتها كلّها محكمة الإغلاق هذا الصّباح؟

- نعم.

- أظن أنّ إحدى الخادمات لديها صديق أو عشيق، وأذكر أنّكِ عبّرتِ عن انزعاجكِ من هذا الموضوع لعمك ليلة أمس عندما خرجتْ هي لتراه، أليس كذلك؟

- نعـم، وهـي نفـس الخادمة التي قامت بخدمتنـا قبل ذلك في تلـك اللّيلـة، وهنـاك احتـمال كبـير أن تكـون قد سـمعت ما قاله عمي بشأن التّاج.

- حسـناً، لقـد فهمـت. أنـتِ تُلمحـين إلى دور محتمـل للخادمـة في اختفـاء التّـاج وذلـك بأنّهـا خرجـت وأخـبرت عشيقها، وبعد ذلك دبّر الاثنان السّرقة؟

هنـا صرخ المصرفي بنفـاذ صبر: لكـن مـا الجـدوى من كل هـذه الافتراضـات غير المفيـدة والغامضـة وقـد أخبرتُـكَ أنّني رأيت آرثر وهو مُمسِكٌ بالتّاج بين يديه؟

- أرجـو أن تصـبر قليـلاً يا سـيد هولـدر وسـنناقش لاحقاً مـا تقـول. بخصـوص الفتاة يا آنسـة هولـدر، أعتقد أنَّـكِ أنتِ مَن رأتها تعود من باب المطبخ؟

- نعـم، فعندمـا ذهبـتُ للتّأكـد مـن إغـلاق بـاب المطبـخ واجهتهـا وهـي تتسـلّل عائـدةً إلى الدّاخـل، كما رأيتُ الشّـاب أيضاً رغم الظّلام.

- هل تعرفيه؟

- نعـم، إنّـه الفتـى الـذي يحضر الخضراوات إلى المنـزل واسمه فرانسيس بروسبر.

- هل كان يقف على يسار الباب؟ قريباً جداً من الباب..



- نعم، نعم لقد فعل ذلك.

- وهل له ساقٌ خشبيّة؟

ظهرت الدّهشة على وجه الشّابة، وغزا ما يشبه الخوف عينيها السّوداوين المعبرتين وهي تقول: عجباً! إنّكَ ساحر. كيف عرفتَ ذلك؟

ثمّ ابتسمت، لكن الابتسامة لم تجد صداها على وجه هولمز النّحيل، بل قال: أتمنّى أن أصعد الآن إلى الطَّابق العلوي، كما أنّه من المحتمل أن أستكشف المنزل من الخارج مرّةً أُخرى، ولكن قد يكون من الأفضل أن أتفحّص نوافذ الطّابق السُّفلي قبل الصّعود إلى الأعلى.

تنقل هولمز برشاقةٍ وخِفَّةٍ بين نوافذ الطَّابق الأرضي. ولم يتوقّف سوى عند النّافذة الأكبر التي تُطل على الطّريق المؤدي إلى الإسطبلات. فتح النّافذة وتفحص حافّتها بشكلٍ دقيق مُستخدماً عدسته المُكَبِّرة، ثمَّ قال أخيراً: والآن لنذهبْ إلى الطّابق الأعلى.

كانت غرفة ملابس المصرفي صغيرةً ولا يوجد فيها قطع أثاث كثيرة. كان ما فيها لا يتعدّى سوى وجود سجادة رمادية ومكتب كبير ومرآة طويلة. ذهب هولمز إلى المكتب أولاً وتفحَّص القفل جيِّداً، ثمّ سأل: ما هو المفتاح الذي فُتح الدِّرج به؟

- إنَّه المفتاح الذي أشار إليه ابني بنفسه. إنّه مفتاح خزانة غرفة التَّخزين.

- هل هو معك هنا؟

- إنّه هناك على طاولة الزّينة.

أخذه هولمز وفتح المكتب، ثمّ قال: إنّه قفل بلا صوت، وهذا هو السّبب في أنّك لم تستيقظ. آه، أعتقد أنّ هذه هي الحقيبة التي تحوي التّاج؟ يجب أن أتفحّصها.

فتح الحقيبة ووضع التّاج على الطّاولة بعد أن أخرجه منها. كان التّاج نموذجاً رائعاً لفن صانعه، كما أنّ أحجاره الستّة والثلاثين المتبقية كانت من أنقى الأحجار الكريمة التي رأيتها في حياتي. كان أحد طرفي التّاج مكسوراً وهو المكان الذي انتُزعت منه الزّاوية التي تحمل الزمردات الثّلاث.

قال هولمز: والآن يا سيد هولدر، هذه هي الزّاوية المقابلة لتلك المكسورة التي سُرقت. هل يمكنك كسر هذه الزّاوية المقابلة؟

تراجع المصرفي إلى الخلف مذهولاً من هذا الكلام وقال: أنا لا أجرؤ على التّفكير بمثل هذا الأمر.

- سأحاول أنا إذن القيام بذلك.

استعان هولمز بكل ما لديه من قوة محاولاً كسر زاوية التّاج لكن دون جدوى ثمّ قال: أعتقد أني ثنيته قليلاً، لكن هذا جل ما تمكّنتُ من القيام به، وأنا شخصٌ قويٌّ جدّاً وسوف يستغرق مني وقتاً طويلاً لأتمكّن من كسره، فكيف لشخصٍ عادي أن يفعل ذلك وبوقتٍ قصيرٍ جدّاً؟ والآن يا

سيد هولدر، ما الذي سيحدث حين أتمكّن من كسره؟ سوف يصدر صوتاً قويّاً جدّاً كطلقة المسدس، فهل تريد أن تقنعني أنّ هذا ما حدث على بعد أمتار قليلةً منك دون أن تستيقظ أو تسمع شيئاً؟

- إنّني في حيرةٍ من أمري، وكل شيء أصبح غامضاً جدّاً بالنسبة لي.

- سوف يتبدّد الغموض مع تقدّمنا في التّحقيق. ما رأيك أنتِ يا آنسة هولدر؟

- أعترف بأنّي محتارة ومشوّشة مثل عمي.

- هل كان ابنك ينتعل حذاءً أم خُفاً للنّوم عندما رأيته؟

- لم يكن يرتدي سوى قميصه وبنطاله.

- شكراً لك. إنّ الحظ يقف جانبنا في هذا التّحقيق وسيكون ذنبنا إن لم نتمكّن من حل هذه القضية. بعد إذنك يا سيد هولدر، سوف أتابع بحثي خارج المنزل.

خرج هولمز وحده كما رغب مفسّراً الأمر بأنَّ آثار الأقدام الكثيرة إذا رافقناه سوف تزيد صعوبة مهمته. وقد استمرَّ بتفحّص محيط المنزل لساعةٍ أو أكثر، ثمّ عاد أخيراً والثّلج يغطي حذاءه، وملامحه لا تشي بأي شيء كالعادة ثمّ قال: أعتقد أنّك تفحّصتُ كل شيء يا سيّد هولدر، وسأكون أكثر

فائدةً بالنّسبة لك إذا عدت إلى منزلي.

- وماذا عن الزمردات يا سيد هولمز؟ هل عرفتَ أين اختفت؟

- لا أعرف.

رفع المصرفي يديه إلى السّماء وصرخ: ألن أراها ثانيةً؟ وماذا عن ابني؟ لقد منحتني الأمل يا سيد هولمز.

- رأيي لم يتغيّر بهذه القضية.

- إذن ما الذي جرى في منزلي ليلة أمس، أخبرني بالله عليك.

- إذا تمكّنتَ من القدوم إلى منزلي في شارع بيكر بين الساعة التّاسعة والعاشرة من صباح الغد، سوف يكون من دواعي سروري أن أبذل كل ما بوسعي لأوضح لك الأمر بطريقةٍ أفضل. كما فهمت منك أنت تمنحني الصّلاحيات الكاملة لأتصرّف نيابةً عنك على أن أعيد الزمردات، بالإضافة إلى عدم وجود حدود للمبلغ الذي سأسحبه.

- أنا على استعداد للتّنازل عن ثروتي مقابل استعادة الزمردات.

- عظيم، سأدرس الأمر منذ الآن وحتّى ذلك الوقت. إلى اللقاء الآن، لكن بالمناسبة قد أكون مضطراً إلى العودة إلى هنا.

كان واضحاً بالنسبة لي أنّ صديقي قد استقرّ على نظرية معينة بشأن الأمر، بعكسي أنا فلم أستطع أن أخرج من هالة الغموض المحيطة بالموضوع. وفي طريق عودتنا، حاولت أن أفتح الموضوع معه، لكنّه كان يتملّص مني ويتحدّث في موضوعٍ آخر حتى تخليت عن السؤال.

وصلنا إلى منزلنا في شارع بيكر قبل الثّالثة، فأسرع هولمز بالصّعود إلى غرفته ثمّ نزل ثانيةً بعد دقائق قليلةٍ وهو متنكّرٌ بزي متسكّع وضيع، وقد أجاد التّنكر. قال وهو يلقي نظرةً سريعة على المرآة: أعتقد أنّ هذا سيفي بالغرض، كنت أتمنّى أن تستطيع مرافقتي يا واطسون لكنني أخشى أنّ هذا غير ممكن أو مفيد. أعتقد أنّي على المسار الصّحيح في هذه القضية وقد يكون ما أسعى وراءه مجرّد سراب، وهذا ما سيتحدّد قريباً. أرجو أن أعود بعد ساعاتٍ قليلة.

ثم اقتطع شريحة من لحم العجل المقدّد الموجود على طاولة الطّعام ووضعها بين طبقتي خبز ودسّ الوجبة في جيبه ثمّ انطلق في سبيله.

كنت قد انتهيت من تناول الشّاي عندما عاد هولمز. كان واضحاً أنّه وجد ما توقعه، وكان ذلك جلياً من مزاجه الممتاز.



أخـذ يؤرجـح بيده حـذاءً قديماً له أطـراف مطاطيّة ثـمّ رماه في الزّاويـة وأعـدّ لنفسـه كوبـاً من الشّـاي. أخيراً تحـدّث فقال: كنت ماراً فقط. سأبقى لوقتٍ قصير ثمّ سأخرج ثانيةً.

- أين ستذهب؟

- إلى النّاحيـة الأخـرى مـن الجهـة الغربيـة مـن المدينـة. قد يطول بك الانتظار، لذلك لا تتأخر بالسّهر في انتظار عودتي.

- وكيف أمر التّحقيق، هل هناك أي تقدُّم؟

- الوضع ليس سيئاً وليس جيداً أيضاً لكن ليس لدي ما أشكو منه. لقد قصدت ستريتهام بعد أن رأيتك آخر مرة لكني لم أدخل إلى المنزل. إنّها قضية لطيفة وبسيطة ولم أكن لأفوّت على نفسي فرصة المشاركة بها مهما كان الثّمن. على كل حال يجب أن لا أنسى نفسي بالثّرثرة معك هنا، بل يتوجّب عليّ تبديل هذه الملابس الرّثة وارتداء ملابسي المحترمة المعتادة.

استطعت أن ألمس ارتياحه لما قام بـه في القضيـة، وأنّ لديه أسـباباً قويّـة تجعلـه يتحـدّث بثقـةٍ مُطلقـةٍ عـن الحـل الحتمـي. فقـد لمعت عينـاه وتسـلّلت حمـرة الخجـل إلى عينيه وهـو يُسرع إلى الطّابـق الأعـلى لتبديل ملابسـه. بعد دقائق سـمعت صوت البـاب يُغلـق وهـو في طريقـه إلى الخـارج، فأدركـتُ أنّـه خـرج وراء صيده المحبّب.

انتظرت عودته حتّى منتصف اللّيل، وعندما غلبني النّعاس أويت إلى فراشي. لم يكن أمراً مستغرباً أن يغيب لأيام أحياناً إذا كان يسعى خلف شيءٍ ما، لذلك لم يفاجئني تأخره. لم أعرف في أي وقت عاد، لكن عندما نزلت لأتناول إفطاري وجدته هناك حاملاً بيده فنجاناً من القهوة وباليد الأخرى صحيفة يقرأها وهو بكامل حيويته ونشاطه وأناقته.

قال: أنا آسف يا واطسون لأني بدأتُ بإفطاري قبل نزولك، لكنّك تذكر الموعد المبكر لعميلنا هذا الصّباح.

أجبته قائلاً: يا للعجب! لقد تجاوزت السّاعة التّاسعة، ولن أُدهش إن كان هو من جاء الآن، فقد سمعت صوت الجرس.

وكان القادم بالفعل هو صديقنا المصرفي. لقد صدمني التّغير الكبير الذي حلّ به خلال يومٍ واحدٍ فقط، فقد تحوّل وجهه العريض الضّخم إلى وجهٍ هزيلٍ، فيما بدا شعره وكأنّه ازداد بياضاً من الشّيب الإضافي الذي حل به خلال يوم واحد فقط! دخل إلى الغرفة وعلامات الضّعف والوهن والإرهاق واضحةً تماماً على وجهه وجسده، ووجدت وضعه أكثر سوءاً من صباح الأمس عندما كان مهتاجاً.

رمى بنفسه على الكرسي الذي دفعته إليه وقال: لا أعرف ماذا ارتكبت من أخطاء حتّى تقع مثل هذه المصيبة على رأسي، فمنذ يومين فقط كنت رجلاً سعيداً وناجحاً في عملي

وليس لدي أي همّ في هذا العالم. أمّا الآن فأنا في أسوأ وضع يمكن أن يكون فيه إنسان مكلّلاً بالعار، والمصائب تتوالى بالحلول فوق رأسي، فقد تخلت عني أيضاً ابنة أخي ماري.

- تخلّت عنك؟!

- نعم، فهذا الصباح كانت غرفتها خالية، وكان واضحاً أنّها لم تنم في سريرها ليلة أمس. كما تركت رسالةً قصيرةً على طاولة القاعة. هل يعقل أنّها غضبت مني لأنّي أخبرتها ليلة أمس بأسف وليس بغضب أنّها لو كانت وافقت على الزّواج بابني لكانت أصلحت حاله. ربما كنت قاسياً معها بهذا الكلام، فهي تشير إليه في رسالتها التي تركتها لي والتي تقول:

عمي الغالي:

يبدو أني تسبّبت لك بمشكلة ولو أني تصرّفت بطريقةٍ مختلفةٍ لما كانت هذه المصيبة الرهيبة قد حلّت على رأسك أبداً، وبذلك لن أكون سعيدة بعد الآن بالحياة في منزلك، ولذلك قرّرت أن أترك البيت إلى الأبد. لا تقلق بشأني فمستقبلي مؤمّن، وأهم من أي شيء لا تبحث عني، فذلك سيكون جهداً بلا طائل وسوف يسبّب لي كثيراً من الحرج.

المخلصة لك إلى الأبد: ماري

- ماذا تعني ماري بهذه الرسالة يا سيد هولمز؟ هل تعتقد

أنها تشير إلى إمكانية قيامها بالانتحار؟

- لا، لا شيء من هذا القبيل، رغم أنّ ذلك قد يكون الحل الأمثل. أنا واثقٌ أنّك تقترب من نهاية متاعبك يا سيد هولدر.

- ماذا؟! أحقاً ما تقول؟! هل عرفت شيئاً جديداً يا سيد هولمز؟ هل عرفت؟ أين هي تلك الزمردات؟

- أتظن أنّ ألف جنيه مقابل كل واحدة منها مبلغ كاف؟

- أنا مستعد لدفع عشرة آلاف جنيه مقابل كل واحدة.

- هذا غير ضروري، فثلاثة آلاف تكفي لاستعادتها وهناك مكافأةً صغيرة على ما أعتقد. هل تحمل دفتر شيكاتك معك؟ خذ القلم من الأفضل أن تكتب في الشيك مبلغ أربعة آلاف جنيه.

حرّر المصرفي الشيك المطلوب والدّهشة تعتريه، ثمّ تقدّم هولمز باتّجاه مكتبه أخرج منه قطعةً ذهبيّةً مثلثة الشّكل مثبّتٌ عليها ثلاثة أحجار كريمة من الزمرد وألقى بالقطعة على الطاولة.

أطلق عميلنا صرخة فرح عظيمة وهو يضع يديه على القطعة المفقودة من التّاج وشهق قائلاً: لقد جلبتها! لقد نجوت، نجوت!

ثمّ عبّر عن سعادته بنفس الحدة الانفعالية التي كان

بالأمس يعبر بها عن مأساته وضم الجواهر المُستردّة إلى صدره. بعد ذلك قال شارلوك هولمز بصرامة: أنت مدين بشيء آخر يا سيد هولدر.

- مدين؟!

ثمّ سارع لالتقاط القلم وتناول دفتر الشيكات قائلاً: حدّد المبلغ الذي يتوجّب عليّ دفعه يا سيد هولمز.

- لا، الدين ليس لي، بل أنت مدين باعتذار حقيقي وصادق لابنك النّبيل فعلاً، فقد تصرّف في هذا الموضوع بشكلٍ يجعلك تشعر بالفخر أنّه ابنك.

- إذن آرثر لم يكن هو من سرقها؟

- لقد أخبرتُك بالأمس، وأُكرِّر اليوم أنّه لم يفعل ذلك.

- هل أنت متأكد من ذلك؟! دعنا إذن نسرع إليه ونخبره بأنّ الحقيقة قد ظهرت وبأنّه بريء.

- إنّه يعرف ذلك بالفعل ومسبقاً، فقد ذهبتُ للقائه بعد أن اتضحتُ الأمر، وعندما وجدته مُصرّاً على عدم إخباري بالقصة، أخبرته أنا بها. عندها اعترف بأنّي على حق وأضاف بعض التّفاصيل القليلة جدّاً التي لم تكن واضحةً بالنسبة لي بشكلٍ تام.... وإن كانت الأخبار التي جلبتها هذا الصباح قد تجعله يتكلّم.

- إذن أخبرني بالله عليك، أوضح لي كل التّفاصيل في هذا اللّغز الرّهيب!

- سأفعل، وسوف أوضح لك الخطوات التي اتّخذتها في الحل، لكن دعني أخبرك أولاً ما يصعب عليّ إخباره كما سيصعب عليك سماعه. لقد اكتشفت أنّ هناك نوعاً من التّفاهم بين السير جورج بيرنويل وبين ابنة أخيك ماري، وقد هربا معاً بحلول هذا الوقت.

- ماري؟! ماذا؟! هذا مستحيل!!

- الأمر أكثر من مجرّد احتمال للأسف، بل أمر واقعٌ ومؤكّد. أنت وابنك لم تعرفا شخصيّة جورج الحقيقية عندما سمحتما له بدخول بيتك. إنّه أحد أخطر الأشخاص في انكلترا، فهو مدمن على لعب القمار وهو وغد لا أمل في إصلاحه أبداً، كما أنّه بلا قلب أو ضمير. ابنة أخيك لا تعرف ، للأسف، شيئاً عن هذا الشّخص الخطير وعندما رمى حبائله حولها وقعت بسهولة كما وقعت مئات الفتيات السّاذجات قبلها، وشعرت بأنّها فعلاً مُميزة لأنّها الوحيدة التي ملكت قلبه كما صوّر لها الأمر. وهكذا غدت ماري أداة بين يديه يستخدمها كما يشاء، وقد اعتادت على رؤيته خلسةً كل ليلة تقريباً.

صاح المصرفي وقد اصفرّ وجهه حتّى أصبح كالأموات: لا، هذا غير معقول. لا أستطيع تصديق هذا الكلام، لن أفعل، أبداً!

- سأخبرك إذن بما حدث في منزلك ليلة أمس. عندما ظنّت ماري أنّك ذهبت غرفتك تسلّلت لتقابل حبيبها عبر النّافذة المطلّة على طريق الإسطبلات. كانت آثار أقدامه واضحةً تماماً على الثّلج ما يدل على طول المدة التي بقيها تحت النّافذة. وعندما أخبرته ماري عن التّاج حرّكت داخله الشر والشّهوة للذهب فاستمالها لتنفيذ رغبته. أنا لا أشك أبداً بحبها المخلص والصادق له، وهي من النّوع الذي يتغلّب شعوره بالحب على أي التزام آخر. وما أن استمعت إلى ما يريد شاهَدَتْكَ تنزل من الطّابق العلوي وأخبرتك عن تصرفات الخادمة الطّائشة مع حبيبها ذي السّاق الخشبية وهو أمرٌ صحيحٌ بالمناسبة.

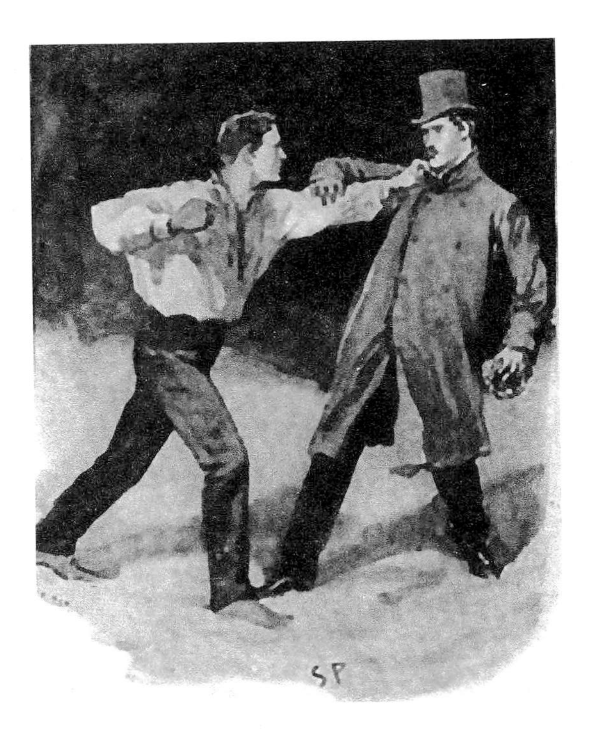
أمّا بالنّسبة لابنك آرثر، فقد ذهب لينام بعد حديثه معك، لكنّه لم يتمكّن من النّوم بسبب انزعاجه من موقفك تجاهه. وفي منتصف اللّيل سمع صوتاً خافتاً لخطوات تمر أمام بابه، فنهض واستطلع الأمر ليُفاجأ بأنَّ ماري كانت تتسلّل خِلسة عبر الممر، ثمّ تدخل إلى غرفة ملابسك. أذهلته الصّدمة فارتدى بعض ملابسه وانتظر في منطقة مظلمة ليرى ما سيحدث. خرجت ماري من الغرفة بعد قليل حاملةً معها التّاج وعندما نزلت الدّرج، أسرع لينزل خلفها واختبأ خلف السّتارة القريبة من باب غرفتك حيث كان قادراً على رؤية ما يجري في القاعة في الطّابق الأرضي. رأى آرثر ماري تفتح النّافذة وتعطي التّاج لشخص

يقف في الظّلام، ثمّ تُغلق النّافذة ثانية وتسرع إلى غرفتها. ومرّت بجانب الستارة التي يختبئ خلفها دون أن تلاحظ وجوده.

لم يتصرف آرثر حتّى لا يفضح الفتاة التي يُحب، لكنّه أدرك مدى الكارثة التي ستحل بك، وقرّر العمل على إصلاح الموقف بأي ثمن، فأسرع بالنزول بسرعةٍ ودون حتّى أن ينتعل حذاءً وفتح النّافذة ثمّ قفز خارجاً في الثّلج وركض في الممر الضّيق. تمكّن من رؤية خيال على ضوء القمر وركض خلفه بكل سرعته. حاول السير جورج بيرنويل الفرار لكنّ آرثر تمكّن منه ودار بينهما شجارٌ عنيف وتمكّن آرثر من إمساك التّاج من زاويته وضرب جورج على وجهه ليجرحه فوق عينه. فجأةً انكسر شيء ما أثناء الشجار واكتشف ابنك أنّه يمسك بالتّاج بين يديه فأسرع عائداً ودخل من النّافذة وأغلقها ثمّ صعد إلى غرفتك حيث انتبه حينها أنّ التّاج قد التوى نتيجة العراك وكان يحاول تجليسه أو تسويته عندما نهضتَ أنت ورأيته.

شهق المصرفي بذهول وصدمة وقال: هل هذا معقول؟!

- وعندها أثرتَ أنت غضب آرثر بإهانتك له فيما كان يتوجّب عليك شكره، ولم يكن ليقل لك حقيقة ما حدث لأنّه لم يشأ فضح ماري التي لم تكن تستحق حبه وتقديره، لكنّه على كل حال تعامل مع الموضوع بأخلاق شخصٍ نبيلٍ وحافظ على سرّها.



- صاح هولدر قائلاً: لهذا صرخت وسقطت مغشياً عليها عندما رأت التّاج؟ آه، يا إلهي! كم كنت أعمى وأحمق! لهذا طلب مني أن أسمح له بالخروج لخمس دقائق... لقد كان ابني العزيز يريد البحث عن القطعة المفقودة في مكان العراك. آه، كم كنت قاسياً في الحكم عليه!

تابع هولمز سرد الأمر قائلاً: ما أن وصلت أنا إلى منزلك يوم

أمس حتّى سارعت بالدّوران حوله وأنا أبحث بدقّةٍ متناهيةٍ عن أي آثار على الثّلج قد تساعدني، فقد كنت أعرف أنّ الثّلج لم يهطل اللّيلة قبل الماضية وأنّ البرد والصقيع سيحافظان على الآثار كما هي. وعندما تجوّلتُ على طول خط ممر الباعة والخدم ووجدت آثاراً كثيرةً مختلطة بحيث لا يمكن التّمييز بينها، وإن وجدت خلف باب الخدم مباشرةً آثار أقدام الخادمة وصديقها صاحب السّاق الخشبيّة. واستطعتُ أن أعرف أنّ أحداً ما قاطعهما لأنّ آثار أقدام المرأة كانت تتّجه بسرعةٍ وخفّةٍ نحو الباب كما يظهر من مقدمة القدم الغائرة في الثّلج وكعبها الذي لم يكن يلامس الأرض تقريباً. لقد ظننت أنّ تلك الآثار للخادمة وصديقها وقد صدق ظني. ولم أجد في باقي الحديقة سوى آثاراً متفرِّقةً خمنت أنّها لرجال الشرطة، لكن عندما وصلتُ إلى الممر الضّيق وجدتُ آثاراً توحي بحدوث أمرٍ كبير وكانت قراءة رسالة الثّلج هذه معقّدةٌ جدّاً.

كان هناك خط مزدوج من الآثار لرجلٍ يرتدي حذاء وخط آخر لرجلٍ حافي القدمين، وتأكّدتُ أنّ صاحب هذه الآثار هو ابنك لأنّك أخبرتني أنّه لم يكن ينتعل حذاءً. كان الأول قد سار باتجاهين أمّا الآخر فقد ركض بسرعةٍ، وبما أنّ خطواته تركت أثراً في بعض الأماكن فوق أثر صاحب الحذاء فقد كان من الواضح أنّه مر بعد الشّخص الأول.

تتبّعتُ الآثار فوجدتها تؤدي إلى نافذة القاعة حيث أزاح صاحب الحذاء كل الثّلج تحت النافذة بينما كان ينتظر، ثمّ مشيتُ مسافة مائة متر أو أكثر لأصل إلى النّاحية الأخرى من الطّريق فرأيت المكان الذي استدار صاحب الحذاء عنده، ورأيت هناك كيف اضطرب الثّلج نتيجة صراع حدث فوقه، وأخيراً رأيتُ بضع قطرات من الدّم ما أكّد شكوكي. وقد ركض صاحب الحذاء على طول الطّريق ودلّ ظهور بقعة دمٍ ثانية أنّه هو من كان ينزف وعندّما وصل الأثر إلى الشّارع العام وجدتُ أنّ الرّصيف قد تمّ تنظيفه وبهذا انتهى الدّليل إلى نهايةٍ مجهولة.

وإذا كنت تذكر فقد بادرت فور دخولي إلى المنزل إلى فحص عتبة نافذة القاعة وإطارها الخشبي مستخدماً عدستي المكبرة، فاستطعتُ على الفور رؤية أنّ شخصاً قد خرج عبرها، كما استطعتُ تمييز الخط الخارجي لمشط قدم مُبللة تخطو نحو الدّاخل، وعندها تمكّنت من تكوين نظرية عمّا حدث. فقد انتظر أحد الأشخاص خارج النّافذة حتّى أحضر آخر من أهل البيت أو سكانه المجوهرات إليه وهو الأمر الذي شاهده ابنك، فقام بمطاردة اللّص وتعارك معه وأخذ كل منهما يشد التّاج ناحيته بعد أن كان الاثنان ممسكان به وقد انقسم نتيجة قوتهما، وعاد ابنك بالجزء الأكبر من التّاج بينما بقي الجزء الصّغير مع اللّص.

حتّى هذه النقطة، كان كل شيء واضح لكن بقي سؤال دون جواب، وهو من كان ذلك الشّخص؟ ومن أحضر له التّاج من داخل المنزل؟ إنّ المبادئ الأساسية بالنسبة لي أنّنا حين نستبعد المستحيل يكون ما تبقى الحقيقة مهما كان صعب تصديقها. والآن بما أنّي أعرف أنّه لم يكن أنت من أحضره فلم يعد هناك سوى ابنة أخيك والخادمات، لكن إن كان الأمر ذنب إحدى الخادمات، فلماذا يخاطر ابنك بحياته وسمعته من أجلها؟ ولم أرَ موجباً منطقياً لذلك. لكن بما أنّ آرثر كان يُحب ماري فقد بدا هذا تفسيراً منطقياً جدّاً لتستره عليها. وعندما ذكرتَ أنتَ لي أنّها كانت بالقرب من النّافذة وأنّها فقدت الوعي عند رؤية التّاج، تأكّدتُ أنّ لها دوراً رئيسياً فيما حدث.

وهنا تساءلتُ من يمكن أن يكون شريكها الذي هرّبت التّاج له؟ لا بد أنّه شخصٌ تحبه بجنون وإلا من المستحيل أن تفعل هذا بعمها أو أبيها بالأحرى من أجله.

لقد عرفت منك أنّكما لا تخرجان كثيراً، وأنّ علاقاتكما الاجتماعيّة تكاد تكون غير موجودة، كما علمت أنَّ دائرة أصدقائكما محدودةً للغاية وتتضمّن السير جورج بيرنويل الذي كنتُ أعرف عنه وعن سمعته السّيئة، وأنّه زير نساء ماكر، فلا بد إذن أن يكون هو من كان ينتظر تحت النّافذة وهو الشّخص صاحب الحذاء وبالتّالي هو من سرق التّاج

وأخذ الزمردات الثّلاث. وبالرغم أنّ آرثر كشفه إلا أنّ جورج كان مطمئناً إلى أنّه بأمان حيث أنّ آرثر ما كان ليبوح بشيءٍ قد يُعرِّض أسرته لخطر الفضيحة.

بعد ذلك، ذهبتُ إلى منزل السير جورج بيرنويل وأنا متنكر بهيئة متسكع وتمكّنتُ من التّعرف على خادمه الخاص الذي أخبرني أنّ سيّده قد جُرح في رأسه ليلة أمس. وقد حرصتُ على شراء أحد أحذية جورج البالية مقابل بعض شلنات لأمنح الخادم مكافأةً لقاء المعلومات بطريقةٍ غير مباشرة، والأهم لأنّي أخذتها معي إلى ستريتهام لأتأكّد من أنّها تتوافق تماماً مع آثار الأقدام.

قال السيد هولدر: لقد رأيتُ متشرِّداً بملابس رثة على طريق الإسطبلات مساء أمس.

- بالضّبط، كان ذلك الرجل أنا. وعندما اكتشفتُ أنّي قد عثرت على ضالتي عدت إلى المنزل وغيّرتُ ثيابي فقد كان الدّور الذي يجب أن ألعبه دقيقاً للغاية، لأنّي عرفت أنّنا لن نتّخذ أي إجراءات قانونية ضد السير جورج بيرنويل لتفادي الفضيحة. وعرفتُ أنّ شخصاً بمثل شره ومكره سيكون حريصاً كل الحرص على أن نظل على حالنا المحدود الحركة في القضية، لذلك قرّرتُ زيارته.

- في البداية وكما توقعت أنكر كل شيء، لكن حين حدّثته

بكل التّفاصيل الدّقيقة لما حدث حاول تهديدي وأمسك بهراوةٍ كانت بالقرب منه، ولأنّي أعرف حقيقته وكم هو جبانٌ رعديد لكن غدّار وجّهت مسدسي بسرعةٍ إلى رأسه قبل أن يتمكّن توجيه ضربته لي ليصبح على الفور أكثر هدوءاً وتعقلاً. وعندما أخبرته بأنّنا سنعطيه ألف جنيه مقابل كل زمردة من الزمردات الثّلاث بانَ الأسى على وجههِ للمرّة الأولى قال باستسلام: يا للكارثة! لقد بعت الثّلاثة أمس مقابل ستمائة جنيه فقط!

تمكّنت من الحصول على عنوان المشتري بسرعةٍ بعد أن وعدته بعدم مقاضاته، وذهبتُ إلى المشتري فوراً حيث استطعت بعد مفاوضات مضنية معه أن أحصل على الجواهر مقابل ألف جنيه للقطعة، ثمّ ذهبتُ إلى ابنك وأخبرته بأنّ كل شيء على ما يرام وفي آخر الأمر عدت لأخلد إلى النّوم حوالي الثّانية صباحاً بعد يومٍ شاق.

قال المصرفي وهو ينهض: إنّه يومٌ عظيم لك يا سيد هولمز، لقد أنقذت انكلترا من فضيحةٍ كبرى. أنا عاجزٌ عن شكرك فقد قدّمت لي خدمة ما كنت أتصوّر أنَّ شخصاً في العالم قادرٌ عليها. الآن يجب أن أسرع إلى ابني لأعتذر له عمّا سببته له من أذى، أمّا فيما يتعلّق بالمسكينة ماري فأنا أُشفق عليها، وأنت رغم مهارتك لم تخبرني أين هي الآن.



أجابه هولمز قائلاً: يمكننا القول أنّها مع السير جورج بيرنويل في مكانٍ ما، ومن المؤكّد أيضاً أنّها ستنال جزاء ما اقترفته من ذنوب قريباً جدّاً أينما ذهبت.

• انتهى •